

لامية الشنفرى

في رثاء تابط شراً في الميزان النقدي

أ.د. عبد اللطيف حمودي الطائي*



هذه اللامية يتجاذبها عدة شعراء؛ ولم يتفق العلماء والرواة على نسبتها إلى شاعر معين؛ فمنهم من قال: أنها للشاعر الجاهلي الصعلوك الشنفرى الأزدي؛ ومنهم من نسبها إلى الشاعر الصعلوك الآخر تابط شراً؛ ومنهم من نسبها لابن أخت تابط شراً؛ ومنهم من قال: أنها منحولة؛ قالها خلف الأحمر؛ ونحلها للشنفرى الأزدي؛ والبعض الآخر قال: نحلها لتابط شراً؛ وللخروج من دائرة هذه التقاطعات والتناقضات؛ سأقوم في هذا البحث- إن شاء الله- بإجلاء الضبابية عن هذه القصيدة؛ وأقدمها للقارئ الكريم معزوة لقائلها الحقيقي بموجب ما يتوافر لدي من الأدلة والمعطيات؛ ومن خلال الروايات التي روت القصيدة أو أجزاء منها.

فالشنفرى وتابط شراً شاعران جاهليان مشهوران؛ وهما من ذؤبان العرب؛ وصعاليكها وفتاكها؛ خلعهما قومهما لكثرة جرائمهما؛ وهما غنيان عن التعريف؛ أما خلف الأحمر؛ فهو كبير رواة البصرة؛ بعد أبي عمرو بن العلاء؛ فضلاً عن كونه من الرواة الرواد على حد وصف الدكتور ناصر الدين الأسد^(١).

ولخلف الأحمر خصومٌ كثيرون؛ منهم من يتقاطع معه عقائدياً؛ ومنهم من يتقاطع معه سياسياً؛ وسبق لي أن قدمت خلف الأحمر للمحكمة الأدبية في كتابي الموسوم بـ (خلف الأحمر كبير رواة البصرة المفترى عليه)^(٢)؛ وظهر من خلال المحكمة الأدبية النقدية؛ أنه بريء من كل التهم الملتصقة به؛ ومنها أن اللامية هي للشنفرى؛ ولم يصنعها خلف الأحمر؛ ولم ينحلها للشنفرى أو لتابط شراً؛ وذلك لأن خلف الأحمر قصيدة لامية على ذات البحر والقافية والغرض؛ غيبها الرواة خوفاً من العباسيين .

(* جامعة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام).

فحينما كان خلف الأحمر ينشدها في مرصد البصرة؛ وهي في رثاء الإمام علي بن أبي طالب وأولاده (عليهم السلام).

حضر الأصمعي بصورة فاجأت خلف الأحمر والمعروف أن الأصمعي كان يتقاطع عقائدياً وسياسياً مع خلف الأحمر؛ فضلاً عن كونه منحرفاً عن أهل البيت عليهم السلام^(٣)؛ فخاف خلف الأحمر من أن يشي به عند والي البصرة؛ فتحول في إنشاده من لاميته إلى لامية الشنفرى؛ ومن هنا حدث الخلط والوهم بين الرواة؛ إلا أنني في حينها لم أقف على لامية خلف الأحمر المغيبة إلا بعد حصولي على نسخة جديدة من كتاب حماسة شعر المحدثين للخالدين؛ والتي حُققت للمرة الثانية على نسخة مخطوطة جديدة وفريدة؛ فضلاً عن النسخ المخطوطة الأخرى^(٤)؛ وقد ضمت المخطوطة الجديدة بين طياتها لامية خلف الأحمر المغيبة؛ وبذلك شمرت عن ساعدي؛ لأكتب هذا البحث؛ وأضع النقاط على الحروف؛ وأزيل الإبهام الذي أحاط باللاميتين؛ وأعزو كل لامية إلى قائلها الحقيقي؛ ليأخذ كل ذي حق حقه؛ علماً أن خلف الأحمر لم يدخل إلى مجالس الخلفاء العباسيين؛ ولا إلى مجالس أمرائهم وولاتهم؛ وقد بذلوا من أجل استقطابه مالاً كثيراً؛ إلا أنهم لم يفلحوا في مسعاهم؛ إذ رفض كل طلباتهم؛ على الرغم من حاجته إلى المال؛ إلا أنه ترفع فوقها؛ اعتزازاً بعقيدته وحفاظاً على دينه؛ فقد كان خلف الأحمر^(٥)؛ (يختم القرآن الكريم في كل يوم وليلة، وقد بذل له بعض الملوك مالاً عظيماً خطيراً على أن يتكلم ببيت شعرٍ شكرًا فيهم، فأبى)؛ وبعض الملوك

المقصود بهم الخلفاء العباسيين وأمراءهم وولاتهم؛ عاصر خلف الأحمر الدولة العباسية منذ تأسيسها وحتى وفاته رحمه الله في خلافة الرشيد سنة (١٨٠هـ).

قتلت قبيلة هذيل الشاعر الصعلوك تأبط شرا في قصة معروفة^(٦)؛ فقال الشنفرى يرثيه في قصيدته اللامية ذات المطلع^(٧):

إِنَّ بِالشَّعْبِ الَّذِي دُونَ سَلْعٍ

لَقَتِيلًا دَمَهُ مَا يُطْلُ

خلط الرواة الشعر العربي القديم؛ وأصحاب الاختيارات الشعرية خلطاً عجيباً وغريباً في نسبة هذه اللامية المشهورة؛ فشقوا وغربوا؛ وكل روى حسب هواه؛ وما أملت عليه ثقافته؛ ومعتقده الديني والسياسي؛ فتقاطعت الآراء واختلفت الأهواء؛ وبالمحصلة النهائية لم يتفقوا على رواية واحدة؛ ولعل سبب هذا الاختلاف والتقاطع؛ يعود إلى قصيدة خلف الأحمر المغيبة خوفاً من السلطة العباسية وملاحقتها لرواتها؛ لأن القصيدة كانت في رثاء أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب وأولاده (عليهم السلام)؛ والعلويون كانوا خصوماً للعباسيين؛ ومن أشد المعارضين لحكمهم؛ ولأسباب سياسية ودينية غُيبت القصيدة؛ وسوف أقف على الروايات كافة التي روت اللامية؛ ولن عزتها؛ وذلك لدراستها ومعرفة ما تخفي بين طياتها من أسرار؛ والحكم بعد ذلك على صحة اللامية؛ ونسبتها إلى شاعرها الحقيقي؛ وإعطاء كل شاعر حقه؛ وبعد المناقشة سوف أكتب لامية خلف الأحمر المغيبة؛ كما قالها؛ ورواها عنه الصولي عن أبي العيناء عن العتبي^(٨)؛ ليطلع عليها الباحثون

والقراء؛ وسأبدأ بذكر النصوص وتصنيفها حسب عزوها للقصيدة؛ وبعد ذلك تقسيمها على أربعة أقسام؛ هي كما يأتي:

١- المصادر التي روت اللامية أو أجزاء منها وعزتها للشنفرى وهي:

- حماسة شعر المحدثين للخالدين: ج٢/ ص٢٨٥
- تاج اللغة وصحاح العربية- قال ابن بري: القصيدة للشنفرى ابن اخت تَابُّطْ شرا؛ مادة: سلع؛ وعاد ليؤكد صحة ذلك في اللسان مادة سلع قائلا: البيت للشنفرى ابن اخت تَابُّطْ شرا؛ ولذلك قال في آخر القصيدة:

فاسقنيها يا سواد بن عمرو

إن جسمي بعد خالي لخلُّ
يعني خاله تَابُّطْ شرا فثبت البيت لابن أخته الشنفرى .

- أمالي الشريف المرتضى: ج٢/ ص١٨٥

- المثلث وقد رواها ثلاث مرات: ج١/ ص٣٦٦؛ ج١/ ص٤٨٦؛ ج٢/ ص٢٤١

- ابن منظور في اللسان: مادة سلع: للشنفرى - سمط اللآء- للشنفرى؛ وقيل لخلف الأحمر ونسبت لتَابُّطْ شرا: ج٢/ ص٩١٩

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: ج٣/ ص٤٥٣٢ ؛ للشنفرى

من يطلع على هذه المصادر يجد أن رواتها ومؤلفيها يتطابقون مع خلف الأحمر عقائدياً وسياسياً؛ وهم جميعاً من المواليين لأهل البيت وأنصارهم؛ ومؤيدون للعلويين؛ ومناهضون للعباسيين؛ وبذلك هم جميعاً مطلعون على لامية خلف الأحمر المغيبة عن الرواة الآخرين؛ وقد أحسن الخالديان صنْعاً حينما رويَا قصة اللامية وخبرها كاملة؛ وبسبب إطلاع هؤلاء الرواة

على لاميتي الشنفرى وخلف الأحمر؛ نسبوا اللامية للشنفرى؛ وهم واثقون من صحة النسبة؛ أما فيما يتعلق في رواية البكري؛ فإنَّه ينسبها للشنفرى؛ ولكنه يتحرز فيقول: وقيل لخلف الأحمر ونسبت لتَابُّطْ شرا؛ والعربية تقول أن الفعل قيل يسمى فعل التمريض؛ أي أنه يحمل نسبة كبيرة من الشك في صحة الرواية؛ والبكري الرجل كان قريباً من بلاط العباسيين ومجالسهم؛ ويعمل في دواوينهم؛ لذلك كان حذراً من التصريح المباشر بنسبة اللامية للشنفرى؛ فعزاها عائمة لكي يتخلص مما يتعرض له من ضغط أو إحراج؛ ومع ما تقدم عاد البكري ليعزو القصيدة لقاتلها الصحيح في كتابه الآخر معجم ما استعجم: ج٣/ ص٧٤٧؛ وأما مطلع لامية خلف الأحمر المغيبة فهو^(٩):

قدك مني صارمٌ ما يُفَلِّلُ

وابن حزم عقده لا يُحَلُّ
نلاحظ في هذه المجموعة أن ابن بري قد قطع بروايته الطريق على كل من يشكك بصحتها؛ فمن قال أنها لابن أخت تَابُّطْ شرا؛ فقد صدق لأنَّ الشنفرى هو ابن أخت تَابُّطْ شرا.

٢- المصادر التي روت اللامية أو أجزاء منها؛ وعزتها لخلف الأحمر؛ والتي تتهمه بنحلها تَابُّطْ شرا؛ أو ابن أخت تَابُّطْ شرا؛ وهي كما يأتي:

- الشعر والشعراء: لخلف الأحمر ونحلها ابن أخت تَابُّطْ شرا: ج٢/ ص٧٩٠
- طبقات ابن المعتز؛ قال دُعْبَلُ الخراعي: قال لي خلف الأحمر؛ وقد تجارينا في شعر تَابُّطْ شرا؛ وذكر قوله:



إِنَّ بِالشَّعْبِ الَّذِي دُونَ سَلْعٍ لِقَتِيلًا دَمَهُ مَا يُطْلَقُ

أنا والله قلتها؛ ولم يقلها تأبّط شرا: ص ١٤٧
- أنباه الرواة لخلف الأحمر نحلها تأبّط شرا:
ج ١/ ص ٣٤٩

- معجم الأدباء: قال الحاتمي قالها خلف الأحمر
ونحلها ابن أخت تأبّط شرا: ج ١٨/ ص ١٥٦
- تاج العروس؛ قال المبرد: هي لخلف؛ مادة: سلع
- العقد الفريد لخلف الأحمر نحلها ابن أخت
تأبّط شرا: ج ٥/ ص ٢٨٠؛ أما في رواية العقد
الفريد طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر:
ج ١/ ص ٣٥٢ و ج ٣/ ص ٢٩٨ و ج ٥/ ص ٣٠٧
قالها تأبّط شرا؛ ولم تشر الرواية إلى وجود
خلف الأحمر فيها؛ مما يدل على أنّ اسم
خلف الأحمر مقحم على الرواية السابقة.

عندما نسلط الضوء على هذه الطائفة من
الرواة والعلماء والمؤلفين سنجدهم جميعاً ممن
يرمون خلف الأحمر بالوضع؛ ويتهمونه بالنحل
والانتحال؛ وهم جميعاً يقفون بالضد منه؛ لأنّهم
يتقاطعون معه عقائدياً وسياسياً؛ باستثناء
رواية ابن المعتز التي روت الخبر على لسان
دُعبل الخزاعي الذي حُشِرَ اسمه في الرواية افتراءً؛
لعله يزيد من قوة التهمة؛ فتجد الرواية قبولا عند
القراء؛ والرواية هي من صنع ابن المعتز؛ الذي
أخرج نفسه من الرواية وخبرها؛ وعزاه لدُعبل؛
لكي يُعمي الخبر على القراء؛ وذلك لأنّ ابن
المعتز من السلطة العباسية؛ وممن يضمرون
الحقد والكراهية لدُعبل الخزاعي بسبب تائيته
المشهورة في رثاء آل البيت (عليهم السلام) التي
أنشدها بين يدي الإمام علي بن موسى الرضا
(عليه السلام)؛ وأنّي أرجح أنّ دُعبلًا لم يقل

ذلك؛ وهو بريء من هذه الرواية؛ لأنّه يتفق
عقائدياً وسياسياً مع خلف الأحمر؛ وهو لم يلتق
بابن المعتز مطلقاً؛ لأنّ ابن المعتز وُلِدَ بعد وفاة
دُعبل؛ علماً أنّ دُعبلًا كان هارباً من بطش
العباسيين؛ لأنّه كان يرى أنّ بني العباس قد
اغتصبوا الخلافة من العلويين؛ وبالمقابل فإنّ
العباسيين قد أهدروا دمه؛ ولاسيما بعد هجائه
للمعتصم؛ جدّ ابن المعتز؛^(١٠) وأنّ دُعبلًا يعرف
أنّ اللامية للشنفرى وليس لغيره؛ والسؤال هنا:
من هو الذي روى الخبر لأبن المعتز؟ ولم لم
يصرح باسمه؛ الراجح عندي؛ ومن خلال رواية
الصولي عن أبي العيّن عن العتبي والتي قال
فيها^(١١): (والله ما قال أبو محرز خلف من هذه
القصيدة بيتاً واحداً؛ وما هي إلا للشنفرى؛ وكان
لها خبر طريف؛ لم يبق من يعرفه غيري.... قال
أبو العيّن: فسألنا العتبي شعر خلف الذي ذكر
فيه أهل البيت (عليهم السلام)... فأنشدنا من
المديد:

قَدَكْ مَنِي صَارِمٌ مَا يُفْلَلُ

وابنُ حزم عقده لا يُحَلُّ
الحق أنّ معظم هؤلاء الرواة لم يطلعوا على لامية
خلف الأحمر؛ ذلك لأنّ مديح العلويين ورتاءهم
كان محظوراً على الشعراء والرواة روايته
وتداوله؛ وبما أنّ هؤلاء الرواة كانوا من الموالين
لسياسة الدولة العباسية؛ وممن يؤيدون حكمها؛
لذا فقد عميت عليهم لامية خلف حذراً منهم؛
وخوفاً من وشايتهم؛ فهم لم يرووها ولم يسمعوا
بها؛ لأنّها كانت مُغيبية عنهم؛ وفي طي
الكتمان؛ وسبق لخلف الأحمر أن تنبه إلى هذه
النقطة المهمة فقال^(١٢): (والله لو سمع الأصمعي
بيتاً من الشعر الذي كنت أنشدتكموه ما أمسي

أو يقوم خطيباً على منبر البصرة فيتلّف نفسي)؛ والغريب في الأمر أنّ بعض العلماء عزا القصيدة لتأبّط شرا وذلك وهم كبير؛ إذ أنّ المقتول والمرثي في هذه القصيدة هو تأبّط شرا نفسه؛ ولم يذكر لنا رواة الشعر العربي أنّ تأبّط شرا رثى نفسه.

٣- المصادر التي روت اللامية أو أجزاء منها وعزتها لتأبّط شرا فهي:

- الحيوان للجاحظ لتأبّط شرا إنّ قالها: ج٣ / ص ٦٩

- شرح ديوان الحماسة للمرزوقي؛ قال تأبّط شرا وقيل لخلف الأحمر: ص ٨٢٧؛ أما في ديوان الحماسة بشرح المرزوقي وبتحقيق أحمد أمين؛ لابن أخت تأبّط شرا؛ وقيل هي لخلف ومما يدل على أنها لخلف قوله فيها: «جلّ حتى دقّ فيه الأجل» فقال: إنّ الأعرابي لا يتغلغل إلى مثل هذا؛ أما أبو الندى فقد قال: مما يدل على أنّ هذا الشعر مَوْلَد (أي قيل في العصر العباسي؛ وهي إشارة خفية إلى خلف الأحمر)؛ إنه ذكر سلعاً وهو بالمدينة؛ وأين تأبّط شرا من سلع؛ وإنّما قُتل في بلاد هُذيل ورمي به في غار يقال له رَحمان وفيه تقول أخته:

نعم الفتى غادرتم برحمان

بثابت بن جابر بن سفيان

- شرح ديوان الحماسة للتبريزي؛ قال تأبّط شرا؛ والصحيح خلف الأحمر: ص ٣٤١

- الحماسة البصرية: ج٢ / ص ٨٢٧ لتأبّط شرا والصحيح لخلف الأحمر.

- تاج العروس لابن أخت تأبّط شرا أو تأبّط شرا: مادة: سلع

هؤلاء الرواة متذبذبون بين الشك واليقين

ويعرفون حقاً أنّ اللامية هي ليست لخلف الأحمر؛ وعزوها لتأبّط شرا على استحياء؛ وإنّ كنت أراهم واهمين فيما ذهبوا إليه؛ لأنّهم كانوا يتأرجحون بين الشك واليقين؛ لذلك لم يقطعوا بصحة ما قالوا؛ فالجاحظ يرويها لتأبّط شرا؛ ولكنه يشك في صحة النسبة؛ ولم يقل صنعها خلف الأحمر ونحلها تأبّط شرا؛ لأنّهُ معتزلي المعتقد القريب من معتقد خلف الأحمر؛ لذا فقد ذيل رأيه بقوله: إنّ قالها؛ أما المرزوقي بعد أنّ عزا اللامية لتأبّط شرا؛ عاد ليستدرك على نفسه بقوله؛ وقيل لخلف الأحمر؛ مستخدماً فعل التمريض (قيل)؛ ونحن نعرف أنّ فعل التمريض فيه نسبة الشك عالية جداً؛ تجعله غير مقبول؛ وغير معول عليه في الأحكام؛ فجعلها متدافعة؛ وأما قوله: «جلّ حتى دقّ فيه الأجل؛ فإنّ الأعرابي لا يتغلغل إلى مثل هذا»؛ فهو مردود البتة فقد وصلت اللغة في العصر الجاهلي إلى قمة ذروتها؛ بدلالة أنّ الله سبحانه وتعالى تحدى العرب بلغتهم؛ وهي ارفع ما يملكون؛ فالأعرابي الذي يفهم معاني القرآن الكريم العميقة؛ ألا يفهم معاني الشعر؛ وهو ديوان علم العرب؛ أما قول أبو الندى: مما يدل على أنّ هذا الشعر مَوْلَد؛ إنه ذكر سلعاً وهو بالمدينة؛ وأين تأبّط شرا من سلع؛ وإنّما قُتل في بلاد هُذيل ورمي به في غار يقال له رَحمان وفيه تقول أخته:

نعم الفتى غادرتم برحمان

بثابت بن جابر بن سفيان

وعند عودة إلى كلمة «سلع»؛ سنجدها في معجمات اللغة العربية تعني الشق في الجبل؛ والجبال على العموم فيها تشققات وتساعات؛



وسلع ليست مقصورة على جبال مكة فقط؛ أي أنّ سلع موجودة في الجبال كافة؛^(١٣) والشاعر لم يقصد موضع مقتل تأبط شرا؛ بل أراد أنّه قُتل في مكان ضيق؛ عزّ عليه الفرار؛ والتخلص من خصومه؛ وبذلك بطلت حجة أبو الندى؛ وقبلها حجة المرزوقي.

والمرتضى الزبيدي جعلها متدافعة بين تأبط شرا وابن أخته؛ لأنّ الرجل بعيد زماناً ومكاناً عن جو اللاميتين؛ فهو لم يكن واثقاً من صحة ما يروي؛ فجعلها متدافعة بين ابن أخت تأبط شرا وتأبط شرا ليُخْرِجَ نفسه من المأزق إنّ لم تكن الرواية صحيحة؛ وأما التبريزي حينما قَدِمَ على شرح ديوان الحماسة؛ وجد اللامية معزوة لتأبط شرا؛ وأراد أن يكون له موضع قدم في الرواية؛ وذلك من خلال النيل من خلف الأحمر الذي يقاطعه عقائدياً؛ فأقحم خلف الأحمر في الرواية تأييداً لمن سبقه من الرواة المغرضين والمنحرفين؛ علماً أنّ التبريزي يعرف أنّ اللامية ليست لتأبط شرا؛ ولكنه أخذ بروايته النمري وأبو الندى؛ وهما ممن يشكك بروايات خلف الأحمر؛ فقال قوله المتأكد من نفسه أنّ اللامية لخلف الأحمر؛ وقوله هذا زور وبهتان.^(١٤)

- ٤- المصادر التي روتها غير ما ذكرنا فهي:
- مجمع الأمثال لابن أخت تأبط شرا: ج ١ / ص ٣١٩
 - معجم ما استعجم: ج ٣ / ص ٧٤٧: وقال: ابن أخت تأبط شرا
 - الطرائف الأدبية للشنفرى أو تأبط شرا أو الهجال ابن أخت تأبط شرا: ص ٣٩
 - انفرد الميداني والبكري في نسبة القصيدة لابن

أخت تأبط شرا؛ وهما يعرفان أنّ تأبط شرا هو ابن أخت الشنفرى؛ ولم يقل بهذا الرأي غيرهما؛ أما صاحب الطرائف الأدبية؛ فكان أكثر الرواة تحبباً؛ فهو لم يقف على أرض صلبة تتيح له رؤية واضحة؛ فهو متأخر زماناً ومكاناً؛ وسمع روايات متعددة ومتقاطعة؛ بعضها ينقض بعضها الآخر ويكذبه؛ فقال بنسبتها للجميع؛ من غير أن يتأكد من صحة ما يقول.

وبذلك وقفت على ثلاثة وعشرين مصدراً ذكرت القصيدة أو أجزاء منها؛ ووجدت أنّ هذه المصادر لا تتفق على رأي يمكن قبوله ويزيل اللبس والغموض؛ ويقرب بين وجهات النظر المتقاطعة والمشتتة؛ ويؤكد أنّ القصيدة صحيحة النسبة للشنفرى؛ لا غبار عليها؛ وبالمحصلة النهائية تأكد لنا بما لا يقبل الشك أنّ بعض الرواة أدوا أدواراً سلبية كبيرة في نسبة كثير من الشعر العربي لغير قائله؛ وكانت لهم حصة الأسد في معضلة النحل والانتحال والوضع؛ وذلك لضمايرهم الميتة؛ ونفوسهم المريضة؛ وقبل التحول إلى المحدثين لنا وقفة مع الشاعر الكبير أبي تمام؛ وهو من كبار رواة الشعر في عصره؛ فقد عزا أبو تمام اللامية للشنفرى في مجلس الحسن بن رعاء؛ فقد روى الصولي عن الغلابي قائلاً^(١٥): «قال لي أبو تمام حبيب بن أوس: دخلت على الحسن بن رعاء؛ فقال لي: يا أبا تمام رأيت فيما يرى النائم؛ كأنّ إنساناً يقول شعراً ما أعرفه؛ وقد حفظته؛ قلت: أنشدنيه؛ فأنشدني:

سيكفيك الذي أمسيت فيه

سيوفٌ في عواتقها سيوفٌ

فقلتُ: أظنُّ أنَّ الأميرَ يحفظ قولَ الشنفرى:

كلُّ ماضٍ قد تردى بماضٍ

كسنا البرق إذا ما يسئل

قال: نعم؛ أنا أروي هذا الشعر؛ فقلتُ: هذا البيت مثل ما رأيت؛ وبيت الشنفرى ولدهُ لفكرك؛ ورواية أبي تمام هذه تدحض كل ما رواه نساخ ديوان الحماسة وشراحه؛ من أنَّ اللامية لتأبَّط شراً أو غيره.

وأبو تمام يروي شعر الشنفرى؛ وكان قد اختار من شعره قطعة في ديوان حماسته^(١٦)؛ وبذلك هو مطلع على شعر الشنفرى؛ وأبو تمام لا يقول إلا بما يعرف؛ وعند العودة لديوان الحماسة؛ وجدنا أنَّ اللامية معزوة (لابن أخت تأبَّط شراً؛ وذكر أنَّها لـخلف الأحمر) وهذه الرواية بريءٌ منها أبو تمام؛ فقد عزا القصيدة للشنفرى في مجلس الحسن بن رجا كما مرَّ قبل قليل؛ وقبل تفنيد هذه الرواية؛ علينا أن نعترف أنَّ العنوانات الجانبية هي من صناعة النساخ؛ ولنا وقفة معهم؛ ففي الهامش الأول قال المحقق: لم ترو ابن أخت في (م؛ ت)؛ فيكون الشعر على هذا لتأبَّط شراً؛ وفي الهامش الثاني قال المحقق: ما بعده لم يرو في (م) وتفردت به هذه الرواية؛ وإذا علمنا أنَّ المحقق حقق الديوان على نسخة فريدة لا أخت لها^(١٧) وقد اعتمد في التحقيق على شرح المرزوقي المُرَّمز له بـ (م) وشرح التبريزي المُرَّمز له بـ (ت) فضلاً عن مختصرين للشرحين؛ وكذلك استفاد من مخطوطة الموصل وهي برواية أبي الرياش؛ وقد قال المحقق: وجدتُ خلافاً في نسبة قسم من الحماسيات عما جاء في الروايتين المذكورتين؛ وأضاف

قائلاً: «إنَّ كثيراً من الحماسيات قد صُدرت بأقوالٍ منها ما يرجع إلى أبي تمام؛ ومنها إلى أحد رجال سند روايتها» وهذا ما ينسحب على لامية الشنفرى وتدافعها بين ابن أخت تأبَّط شراً وخلف الأحمر على وفق روايتي المرزوقي والتبريزي؛ والحق والعدل يقتضي أن نقول: ما كان متدافعاً بين القدماء وعدم اتفاقهم على رواية موحدة؛ يجعلنا في شكٍ من صدقِ نوايا بعضهم؛ ولا نعمم.

أما المحدثون فكانت لهم رؤية علمية أوضح من الذين سبقوهم؛ وذلك لأنَّهم اطلعوا على الروايات كافة؛ ودرسوها بروح علمية منهجية؛ وإنَّ اختلفوا فيما توصلوا إليه من حكم؛ فهم كانوا أقرب إلى الصواب؛ بل أن بعضهم كان على الصواب مائة بالمائة.

فالدكتور ناصر الدين الأسد أكد أنَّ القصيدة للشنفرى؛ وقال: أنَّها ليست منحولة؛ وذلك من خلال دراسته للروايات المختلفة في كتابه الموسوم «مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية»^(١٨).

في حين قال الدكتور يوسف خليف: القصيدة ليست لأحد من الشعراء الصعاليك وذلك من خلال دراسته للشعراء الصعاليك. في كتابه الموسوم «الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي»^(١٩)؛ وهذا رأيه ونحن نحترمه؛ وإنَّ لم نفتتح به.

والدكتور علي ناصر غالب قرر أنَّ القصيدة للشنفرى وذلك من خلال رؤيته المنهجية والعلمية الصحيحة؛ وذلك من خلال تحقيقه لديوان الشنفرى الأزدي^(٢٠).

أما من تكفل بجمع شعر تأبَّط شراً وتحقيقه؛



فلم أجد له رأياً واضحاً وصريحاً في القصيدة بل اكتفي برواية القصيدة؛ وبما قاله الآخرون؛ وهذا من عيوب التحقيق؛ فنلاحظ في طبقات العقد الفريد اختلافاً كبيراً في الروايات؛ فالمحقق الدكتور محمد التونجي يتهم خلف الأحمر؛ بأنه قالها ونحلها ابن أخت تأبط شرا؛ في حين طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ذكرت القصيدة وقالت: قالها ابن أخت تأبط شرا؛ ولم تشر الرواية إلى وجود خلف الأحمر فيها؛ لا من قريب ولا من بعيد؛ فمن أين جاء الدكتور التونجي بخلف الأحمر وحشره في الرواية؟ وهذا ما يدل بل يؤكد تلاعب بعض المحققين بالألفاظ لأسباب مضمرة في نفوسهم. وفي المحصلة النهائية؛ وبعد استعراض الآراء المختلفة القديمة منها والحديثة، بشأن لامية الشنفرى؛ واستقراء آراء الأساتذة المختصين، وبعد وقوفي على لامية خلف الأحمر؛ أقول أنا الدكتور عبداللطيف الطائي: إنَّ القصيدة لم يصنعها خلف الأحمر؛ ولم ينحلها الشنفرى أو تأبط شرا؛ وهي ليست لتأبط شرا؛ أو غيره كما تزعم بعض الروايات؛ بل هي للشنفرى ومن صحيح شعره.

ولعل القارئ والباحث الكريم يتساءل عن السر في هذا الخلل العجيب بين العلماء والرواة في نسبة لامية الشنفرى لخلف الأحمر واتهامهم إياه بنحلها وهو بريء من التهمة؛ فنقول: يعود ذلك للأسباب الآتية؛ فضلاً عما قلناه في مناقشة الرواة:

١- عدم وقوف أكثر الرواة على لامية خلف الأحمر المغيبة؛ وذلك لكونها في رثاء العلويين المناهضين للعباسيين.

٢- الاحتقان الطائفي بين الرواة أنفسهم؛ وخوف بعضهم من بعض؛ جعلهم في تحرز شديد عند التطرق إلى لامية خلف الأحمر؛ وذلك خوفاً من الوشاية والملاحقة والقتل والتشريد.

٣- التقاطع السياسي بين العلماء والرواة في الولاء للعباسيين والعلويين.

٤- إنَّ من عزا القصيدة لابن أخت تأبط شرا؛ فقد عزاها للشنفرى من حيث لا يعلم أنَّ ابن أخت تأبط شرا هو الشنفرى الأزدي.

٥- كان الأصمعي هو السبب الرئيس في تغييب لامية خلف الأحمر؛ وذلك لأنَّه كان من الموالين للعباسيين؛ في حين كان خلف الأحمر من المناصرين للعلويين والمناهضين للعباسيين؛ ولما فاجأ الأصمعي الجمع الذي كان يستمع لخلف الأحمر أثناء القائه للامية؛ اضطر خلف الأحمر للعدول عن لاميته والتحول إلى لامية الشنفرى خوفاً من وشاية الأصمعي المنحرف عن أهل البيت (عليهم السلام).

٦- التشابه المطلق بين القصيدتين اللاميتين من حيث الوزن والقافية والغرض فالقصيدتان من بحر المديد؛ وعلى قافية اللام؛ وفي غرض الرثاء؛ إلا أنَّ لامية الشنفرى كانت تتكون من ثمانية وعشرين بيتاً؛ في حين كانت لامية خلف الأحمر تتكون من سبعة وأربعين بيتاً.

٧- وبعد وقوفنا على لامية خلف الأحمر المغيبة؛ لا بدَّ أن يعود الحق إلى أهله؛ وتنسب كلَّ لامية إلى قائلها؛ تطبيقاً للأمانة العلمية؛ وليعرف الباحثون والدارسون أنَّ خلف الأحمر لم يصنع القصيدة؛ ولم ينحلها للشنفرى أو تأبط شرا؛ وهو براءٌ من تلك التهمة الباطلة. والآن نقف على لامية خلف الأحمر في رثاء

الإمام علي بن أبي طالب وأولاده (عليهم السلام) كما رواها العتبي في حماسة شعر المحدثين للخالديين^(٢١) فقد قال خلف الأحمر من البحر المديد:

- ١- قدك مني صارمٌ ما يُفَلِّلُ
وابنُ حزمِ عقده لا يُحَلُّ
- ٢- ينثنى باللَّوْمِ من عاذلِيه
ما يُبالي أ كثرُوا أم أ قَلُوا
- ٣- لرسولِ اللهِ في أقربيه
وبنيه حيثُ ساروا وحلوا
- ٤- عنده مكنونٌ نُصَحِ ووَدِّ
خالصٍ لم يَقتدَحْ فيه غلُّ
- ٥- أهلُ بيتٍ ما على جاحديهم
حقَّهم في الرُّبْرِ أ لا يضلوا
- ٦- صفوةُ اللهِ الألى من لدنه
لهم القَدْرُ الأعرُ الأجلُّ
- ٧- ما أطاعَ اللهُ قومٌ تولَّوا
من سواهم بل عصوه وذلَّوا
- ٨- وبهم شقُّ دُجى الغيِّ عنهم
وعلى الإيمانِ والدينِ دلُّوا
- ٩- وبهم صُبَّتْ على كلِّ باغٍ
بأذخِ العرِّ صغارٌ وذلُّ
- ١٠- غصَّبُوهم حقَّهم واستحلوا
ظالموهم منه ما لا يحلُّ
- ١١- واقتدوا بما سنَّ رجسُ
بارزِ اللهِ زنيمٌ عتُلُّ
- ١٢- لم يراقبْ خشيةَ اللهِ فيهم
أصرَّ منه ولم يرعَ إلُّ
- ١٣- فَمَ شتى قتيلٌ صريعُ
دمه فيهم جِزاراً يُطلُّ
- ١٤- وأسيرٌ في طمارِ عليه
من حديدِ القينِ كبلٌ وغلُّ^(٢٢)
- ١٥- ومقيمٌ خاشعٌ في عدوِّ
مُستظامٍ بينهم مستدلُّ
- ١٦- لا على جُرمٍ ولا عن شقاقٍ

- رَكِبُوا الحَضَّ إليهم فزلُّوا
١٧- غَيْرَ أَنْ فاءَ على ظالمهم
بهم للملكِ فيءٌ وظلُّ
- ١٨- وأن أوفوا بالنبي المصفي
جدَّهم مأثرةً لا تقلُّ
- ١٩- وبنيَ اللهُ لهم بيتٌ مجدٍ
فطرةُ الدينِ به تستظلُّ
- ٢٠- في جميلِ بركِ اللهُ فيه
لم ينلُ ما حوَّلوه جبلُّ
- ٢١- وارثو مخزونِ علمِ عليه
كلُّ ذي علمٍ عيالٌ وكلُّ
- ٢٢- وعليُّ ذو المعالي أبوهم
كرَّم السَّامي به والمدلُّ
- ٢٣- علَّم الدينَ الذي من تلاه
سالكُ سبَلِ الهدى لا يضلُّ
- ٢٤- وأمير المؤمنين المرَّجى
فضله مٌثريهم والمقلُّ
- ٢٥- باسطٌ كفيه فيهم بعدلٍ
وصبِيرٌ صوبه مستهلُّ
- ٢٦- عن سماءٍ لهم كلُّ يومٍ
ديمةٌ منه ووبلٌ وظلُّ
- ٢٧- وشهابُ اللهِ في كلِّ خطبٍ
وحُسامُ اللهِ والنَّقْعُ يعلو
- ٢٨- حيثُ يلقى في ظلالِ المنايا
كلُّ ليثٍ باسلٍ وهو فلُّ
- ٢٩- جسدٌ يعفره طيرٌ عكوفٌ
وضوارٍ شرَّعٌ فيه زلُّ
- ٣٠- مَكْنَزٌ فيه من بعدِ حولٍ
للضبَّاعِ العرَّجِ لحمٌ مصلُّ
- ٣١- بطلٌ أغلبٌ في راحتيه
للقنا والبيضِ نهلٌ وعدلُّ
- ٣٢- يكرهُ الأبطالُ منه ابنُ موتٍ
لا يملُّ الحربَ حتى يملوا
- ٣٣- يحمِدُ العضبُ اليماني شظاهُ



في الوغا والسهمري المتل

٣٤- فكأنَّ النقعَ ينشامُ عنه

ضِيغَمُ جهَمُ المُحيا رِفْلُ

٣٥- قد غدا يُضَمِرُ بَغْضاً ويبيدي

بِغْضَةٍ أَضْغَانُهَا لا تُسَلُّ

٣٦- شاوِرِ النكراءِ في الله منه

شائِكُ الأنيابِ يقْظانُ صلُّ

٣٧- لا الرُّقى تردُّعُ منه ولا من

مَسَّ حدَّ النابِ منه يُبِلُّ

٣٨- موطنٌ من عهدٍ لقمانَ عادٍ

دونهُ من قُللِ الحَزَنِ تلُّ

٣٩- متحامٍ لا يُودي إليه

نُبُسِ الإنسِ ولا الجنِّ حلُّ

٤٠- كيبسِ الجَزَلِ إلا فحياً

يَصهرُ المرءُ به أو يملُّ

٤١- لو مضتُ عاليةُ الرُّمَحِ فيه

ما تغشى الليطُ منه مُبِلُّ

٤٢- أو نمتُ أذْرُعُ ألفِ إليه

رجعتُ عن نفثه وهي شلُّ

٤٣- كلما مدَّ المطا وتمطى

فحصى المعزاءِ منه يُصلُّ

٤٤- عدُّ إلى مدحِ الذينَ عليهم

من يمينِ الله ظلُّ فِظْلُ

٤٥- خيرٌ من خبتُ بهم ذاتُ لوثِ

دامياً للجهدِ منها الأظْلُ

٤٦- في مهادي ذبل كالسعالى

تحتِ شُعْثٍ قد أكلوا وكلوا

٤٧- عامدي الكعبيّةِ من كلِّ فجِّ

كلما أعرَضَ شخصٌ أهلوا

الهوامش:

(١) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية: ص ٢٦٨.

(٢) خلف الأحمر كبير رواة البصرة المفتري عليه - الفصل الثالث.

(٣) حماسة شعر المحدثين: ج ٢، ص ٢٨٧؛ الأصمعيات: ص ١١.

(٤) حماسة شعر المحدثين بتحقيق د. خالد أحمد الملا السويدي لسنة ٢٠١١ م.

(٥) المزهري: ج ٢، ص ٤٠٥.

(٦) الاشتقاق: ص ٢٦٦.

(٧) ديوان الشنفرى: ص ١١٧ - ١٢٠.

(٨) حماسة شعر المحدثين: ج ٢، ص ٢٨٦ - ٢٨٧.

(٩) حماسة شعر المحدثين: ج ٢، ص ٢٨٧.

(١٠) ديوان دعبل الخزاعي: ص ٥٨ - ٦٣.

(١١) حماسة شعر المحدثين: ج ٢، ص ٢٨٦ - ٢٨٧.

(١٢) حماسة شعر المحدثين: ج ٢، ص ٢٨٧.

(١٣) لسان العرب؛ مادة: سلع.

(١٤) ديوان الحماسة بشرح التبريزي: ج ٢، ص ٣٤٢ - ٣٤٧.

(١٥) حماسة شعر المحدثين: ج ٢، ص ٢٨٦.

(١٦) ديوان الحماسة: ص ٢٣٢.

(١٧) ديوان الحماسة: ص ٧ - ١٥.

(١٨) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية: ص ٤٥٨ - ٤٦١.

(١٩) الشعراء الصعاليك: ص ١٧٤ - ١٧٧.

(٢٠) ديوان الشنفرى: ص ٣٠ - ٣١.

(٢١) حماسة شعر المحدثين: ج ٢، ص ٢٨٧ - ٢٩٠.

(٢٢) أسيرٌ في طمار: هو الإمام موسى بن جعفر (ع) في سجن الطامورة ببغداد في خلافة الرشيد.

المصادر والمراجع:

• الاشتقاق - ابن دريد، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.

• الأصمعيات - عبدالملك بن قريب الأصمعي، تحقيق أحمد

محمد شاكر، عبدالسلام هارون، ط ٤، دار المعارف بمصر.

• أمالي المرتضى - الشريف المرتضى، تحقيق محمد أبو

- الفضل إبراهيم، ط ١، مصر ١٣٧٣هـ؛ ١٩٥٤م.،
- أنباه الرواة على أنباه النحاة- جمال الدين القفطي، محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٨٠م.
- تاج اللغة وصحاح العربية- إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٢٩٣هـ)؛ نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي؛ دار الحضارة العربية؛ بيروت (د.ت).
- تاج العروس من جواهر القاموس- المرتضى الزبيدي، ط ١ مصر، ١٣٠٦هـ.
- الحماسة البصرية- صدر الدين بن ابي الفرج بن الحسين؛ طبعة الهند؛ ١٩٦٤م.
- حماسة شعر المحدثين- تحقيق د. خالد أحمد الملا السويدي؛ وعارف أحمد عبدالغني؛ ط ١ دمشق؛ ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- الحيوان- الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة مصطفى بابي الحلبي، ط ١، مصر ١٣٦٢هـ- ١٩٤٣م.،
- خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب- عبدالقادر البغدادي؛ طبعة المطبعة السلفية؛ القاهرة.
- خلف الأحمر كبير رواة البصرة المفتري عليه- أ. د. عبداللطيف حمودي الطائي؛ دار الشؤون الثقافية؛ ط ١؛ بغداد ٢٠١٣م.
- ديوان تأبط شرا- إعداد وتقديم طلال حرب؛ دار صادر؛ بيروت ط ١؛ ١٩٩٦م.
- ديوان الحماسة- أبو تمام الطائي، تحقيق أحمد محمد عبدالمنعم، دار الرشيد بغداد، ١٩٨٠م.
- ديوان الحماسة- أبو تمام؛ شرح المرزوقي؛ تحقيق احمد امين وعبدالسلام هارون؛ القاهرة.
- ديوان دَعْبَل بن علي الخَزاعي- جمعه وقدم له وحققه: عبدالصاحب عمران الدجيلي؛ منشورات الشريف الرضي؛ ط ٢؛ بيروت، ١٩٧٢م.
- د. علي ناصر غالب، نشرته مجلة العرب السعودية، ط ١، الرياض ١٩٩٨م.
- سمط اللائي- لأبي عبيد البكري، تحقيق عبدالعزيز الميمني، مصر، ١٩٣٦م.
- شرح ديوان الحماسة للتبريزي- دار القلم، بيروت، لبنان.
- شرح ديوان الحماسة للمرزوقي- تحقيق أحمد أمين وعبدالسلام هارون، القاهرة ١٩٦٧م.
- شعر تأبط شرا- دراسة وتحقيق سلمان داود القره غولي وجبار ثعبان جاسم؛ مطبعة الآداب؛ ط ١؛ النجف الأشرف ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.
- الشعر والشعراء- ابن قتيبة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٢م.
- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي- د. يوسف خليف، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٦م.
- طبقات الشعراء- أبو العباس عبدالله ابن المعتز، تحقيق عبدالستار فراج، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٦م.
- الطرائف الأدبية (مجموعة من الشعر)- تحقيق عبدالعزيز الميمني؛ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر؛ القاهرة ١٩٣٧م.
- العقد الفريد- لابن عبد ربّه الأندلسي، حققه وشرحه وعرف أعلامه الدكتور محمد التونجي، ط ٢، دار صادر، بيروت ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- العقد الفريد- لابن عبد ربّه الأندلسي؛ طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر؛ القاهرة.
- لسان العرب- ابن منظور، أعاد بناءه على الحرف من الكلمة يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت.
- مجمع الأمثال- للميداني، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها- للسيوطي (ت ٩١١هـ) شرحه وضبطه علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية القاهرة ١٩٥٨م.
- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية- د. ناصر الدين الأسد، دار المعارف، ط ٣، القاهرة ١٩٦٦م.
- معجم الأدباء- ياقوت الحموي، نسخه وصححه د. سي مرجليوث، ط ١، القاهرة ١٩٢٧م.

Lamait Al- Shanfra

in Tabbt Shara commiseration in the criticism balance

By: Prof. Abdul Latif Hamdy AL-Tai / University of Baghdad – College of Arts

Abstract

This Lamat is addressed by several poets; The scientists and narrators did not agree on their relation to a certain poet; Some of them said that it is for the pre-Islamic poet Taslouk Al-shanfri Al-Azadi; And some of them attributed to the other poet Tasluk Tabbt Shara; And some of them said that it is invalid; said by Khalaf al-Ahmar ; and attributed to Al-shnfra Al-Azadi; In this research I will - God willing - remove misty from the poem; I attribute it to its real poet, in accordance with the data and evidence available in front of me; And through the narratives that narrated the poem or parts of it.

Al-shanfra and Tabbt Shara Two famous pre-Islamic poets; Two of the Arab wolves; And their Deadly thorns; Their people shall take them apart for the multitude of their chastity; They are well known; Khalaf al-Ahmar is a great narrator of Basra after Abu Amr ibn al-ʿAla; As well as being a pioneer narrators as described by Dr. Nasser al-Din al-Assad; He had many opponents; Some of them intersect with him ideologically; Some of them intersect with him politically; I have already presented the Khalaf al-Ahmar to the literary court in my research entitled «(Khalaf al-Ahmar in the hands of the judiciary)»; He appeared through the court that he was innocent of all the charges affixed to him; Including that the Lamat is for Shanfra; and Khalaf al-Ahmar did not make it; And did not spare it to Tabbt Shara; And no other; This is because Khalaf al-Ahmar has a Lamat lyric poem on the same rhyme and purpose.